المطبوعات السلفية في مصر في النصف الأول من القرن العشرين دراسة تاريخية

الدكتور/ زكريا صادق الرفاعي

أستاذ مساعد التاريخ الحديث

كلية التربية -جامعة المنصورة

المطبوعات السلفية فى مصر
فى النصف الأول من القرن العشرين
دراسة تاريخية

الدكتور/ زكريا صادق الرفاعى

عرفت مصر المطبعة بصورة رسمية فى مطلع العشرينيات من القرن التاسع عشر[١] باعتبارها أحد الأدوات التى اعتمد عليها محمد على فى تحديث مؤسسات الدولة[٢]، كما أولت مطبعة بولاق التى عرفت لاحقاً باسم المطبعة الأميرية اهتماماً بإحياء الأعمال التراثية على تنوعها، وبلغت عصرها الذهبى فى عهد الخديوى إسماعيل عقب تجديدها، و كانت لها مشاركتها الملحوظة فى معرض باريس الدولى عام ١٨٦٧[٣] .

وقبل انصرام العقد الأخير من القرن التاسع عشر شهدت الساحة المصرية تدافعاً وتزاحماً للعديد من التيارات الاجتماعية والفكرية المتباينة فى الرؤى والأهداف[٤] بحكم الزخم المتزايد للحركة الوطنية وما تضمنته من إرهاصات للفكرة القومية ورفع شعار مصر للمصريين. وفى الوقت نفسه كانت لفكرة الجامعة الإسلامية مؤيديها، كما لاحت فى الأفق تباشير الفكر الاشتراكى، ولم تكن تلك التيارات فى جملتها منبتة الصلة عن الظروف الداخلية التى مرت بها مصر، وفى مقدمتها الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢م وتوابعه، إضافة إلى ظروف الحرب العالمية الأولى وتداعياتها خاصة اشتداد ساعد الحركة الوطنية ونشاط الأحزاب والجماعات السياسية[٥].

وقد شهدت فترة الدراسة تنامياً فى مجال الصحافة والنشر، فبدت ضمنه صحافة ذات توجه إسلامى عام حثت على الفضائل ونبذ ما اعتبرته سلبيات اجتماعية، ولم تكن فى مجملها تعبيراً عن تيار فكرى بعينه مثل مجلة "الإسلام" التى أصدرها أحمد على الشاذلى الأزهرى وكانت تصدر غرة كل شهر عربى، وصحيفة "النهج القويم" الأسبوعية التى أصدرها محمد الشربتلى. وعلى النهج

ذاته ظهرت مجلة "الحياة" برعاية محمد فريد وجدى[٦]. وتدريجياً صارت لبعض المطبوعات طابعها الخاص على نحو ما تجلى فى "المنار"، و"الفتح"، و"الهدى النبوى"، و"الأزهر"، فضلاً عن الإصدارات اللاحقة بواسطة مطبعة المنار والمطبعة السلفية.

ويحمل عنوان الدراسة فى طياته العديد من التساؤلات، لعل فى مقدمتها التعريف بالمطبوعات السلفية وكيفية تحديدها، ومن هم القائمين عليها، وما هى البواعث التى أدت إلى ظهورها، وما هى الرسالة التى سعت إليها، وإلى أى مدى تركت أثراً فى المجتمع المصرى خلال فترة الدراسة. وغنى عن القول بأن التساؤلات السابقة، وربما غيرها، لا تنفصل بحال عن الإطار الرئيس للسلفية كظاهرة فكرية واجتماعية اتسمت بالصيرورة عبر المراحل التاريخية المختلفة.

وقد تم اختيار فترة الدراسة باعتبار أن بدايتها كانت شاهدة على بزوغ المطبوعات السلفية عقب التحول التدريجى لمجلة "المنار" منذ منتصف العقد الأول من القرن العشرين، فصارت أكثر تعبيراً عن المنحى السلفى. وليس من قبيل المبالغة القول بأن المنار كانت هى الحاضنة الأولى للمطبوعات السلفية فى مصر آنذاك، وصارت نموذجاً يحتذى به لاحقاً. على أنه بنهاية عقد الأربعينيات بدت المطبوعات السلفية فى طريقها إلى الأفول تدريجياً، خاصة بعد دخول مصر فى إطار سياسى واجتماعى مغاير بعد قيام ثورة يولية عام ١٩٥٢م، وربما عادت الأهمية الكبرى لفترة الدراسة فى كونها قد شكلت إحدى الموجات الكبرى للحركة السلفية فى مصر، ومن ثم فإن الوقوف على تلك المرحلة وتمثلها فى سياقها التاريخى، هو المدخل الرئيس لفهم المتغيرات التى لحقت بها، وصولاً إلى تجلياتها الراهنة على الصعيدين الاجتماعى والسياسى فى المجتمع المصرى.

المطبوعات السلفية اصطلاحاً

إن مصطلح السلفية، على الصعيد النظرى، يلفه الكثير من الغموض، وربما استخدم فى سياقات عديدة[٧]. فلعقود طويلة، اعتقد العديد من الدرأسين بأن السلفية حركة تنويرية إصلاحية تهدف إلى تقدم المجتمعات الإسلامية

وانخراطها فى حقل الحداثة. وفى هذا السياق بدا المصطلح أكثر مرونة ومفتوحاً للتأويل، إلا أن المعنى السابق غدا متعارضاً بالكلية مع المفهوم المعاصر للسلفية، وربما كان جزءاً من معضلة الفهم للسلفية مرتبطاً بمساهمات الدارسين أنفسهم، واستغراقهم -فى الأغلب الأعم- فى معالجة الجوانب والقضايا العقدية، وعزوفهم فى الوقت ذاته عن دراسة السياق التاريخى المصاحب لها على نحو كاف[٨].

وعلى الصعيد اللغوى، تجلى بارزاً معنى السلفية كنزعة إلى الماضى، " فالسالف: المتقدم.."، و"السلف: كل من تقدم من آبائك وذوى قرابتك فى السن أو الفضل، وكل عمل صالح قدمته. والسلفى: من يرجع فى الأحكام الشرعية إلى الكتاب والسنة، ويهدر ما سواها"[٩].

ولقد اعتبر البعض أن مصطلح السلفية قد ارتبط فى ظهوره بالتمييز بين أهل الفقه والحديث عن غيرهم من الفلاسفة والمتكلمين والصوفية، ومن ثم فإن السلفية هى تعبير "عن منهج المحافظين ونموذجه المتحقق فى القرون الثلاثة الأولى، فصار يطلق علماً على أصحاب منهج الاقتداء بالسلف من الصحابة والتابعين، وكل من تبعهم من الأئمة، كالأئمة الأربعة.. وسائر أصحاب السنن"[١٠].

وعلى المستوى التاريخى، أشار البعض إلى أن السلفية ظاهرة عباسية، كان على رأسها الإمام أحمد بن حنبل (٧٨٠-٨٥٥م) ومن حذا حذوه، مثل ابن تيمية (١٢٦٣-١٣٢٨م)، وتلميذه ابن القيم الجوزية (١٢٩٢-١٣٥٠م) وسائر أعلام أهل الحديث السابقين واللاحقين[١١]. وشدد البعض على ضرورة التفرقة بين السلف من جهة، وما يمكن أن يسمى بالتمذهب بالسلفية من جهة أخرى؛ فالمراد بالسلف ترسم خطى ونهج المسلمين من أهل القرون الثلاثة فى صدر الإسلام، باعتبارهم القدوة فى الفهم والاستيعاب، ثم التطبيق للكتاب والسنة. ومن ثم فإن الانضباط بهذا النهج من المسلمين، أياً كانوا وفى أى عصر عاشوا، يعنى أنهم سائرون مع السلف فى طريق واحدة، وإن اختلفوا معهم أو فيما بينهم ضمن

نطاق وحدود هذا المنهج. وفى هذا السياق، يصبح من الخطورة بمكان تحويل لفظة السلف على النحو السابق وصك مصطلح جديد منها، أى من (السلفية) وإقحامه على تاريخ الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامى ليكون عنواناً مميزاً لفئة من المسلمين، يعدون أنفسهم الممثلين لحقيقة الإسلام دون سواهم[١٢].

على صعيد آخر، وبحسب الأدبيات السلفية ذاتها، فإن السلفية ليست ظاهرة طارئة أو مستحدثة، كما أنها ليست حزباً أو مدرسة فكرية، بل هى نزعة ورؤية تنتقل من جيل إلى آخر دون انقطاع، ومن ثم فإنها تمثل جوهر الإسلام، وبالتالى فإن وجودها ملازم لوجود الإسلام ذاته منذ البداية[١٣]. وفى هذا الإطار كتب الشيخ الألبانى (١٩١٤-١٩٩٩م)، أحد أعلام السلفية البارزين فى هذا الصدد: "الدعوة السلفية إنما هى دعوة الإسلام الحق، كما أنزله الله تعالى على خاتم رسله.. فالله وحده سبحانه هو مؤسسها ومشرعها، وليس لأحد من البشر كائناً من كان أن يدَّعى تأسيسها وتشريعها"[١٤]. ولقد قسم بعض الدرأسين السلفية إلى قسمين: أولهما السلفية القديمة أو الصافية، وهى -على حد تعبير البعض- تجسد الإسلام "الأنقى "[١٥]. Islam Puritanism أما القسم الثانى فهى السلفية الحديثة، والتى كانت عنواناً للإصلاح الإسلامى فى العصر الحديث، وكان أبرز أعلامها جمال الدين الأفغانى (١٨٣٨-١٨٩٧م)، ومحمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٤م)، ومحمد رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥م). ولم يكن رفع شعار السلفية آنذاك مذهباً يدعى إليه الناس بقدر ما كانت عنواناً على دعوة، وتعريفاً برؤية ومنهج سعى لأن يشق لنفسه طريقاً للنهوض بالعالم الإسلامى، ومواجهة التحديات الخارجية[١٦].

وبدورهم ساهم بعض المستشرقين بنصيب فى هذا الجدل. والأرجح أن مصطلح السلفية الحديثة قد ذاع استخدامه على إثر التعليقات والملاحظات التى أبداها المستشرق الفرنسى المعروف لويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢م) فى مجلة العالم الإسلامى Revue du Monde Mussulmen عام ١٩١٩م، معتبراً أنها قد تجسدت بوضوح فى أعمال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده. وفى عام ١٩٢٥م أشار ماسينيون إلى محمد رشيد رضا على اعتباره زعيم السلفية الحديثة، ومن

ثم صار المصطلح أكثر ذيوعاً وانتشاراً بين العديد من الدرأسين [١٧].

والواقع أن الجدل والتأويل حول تعريف السلفية ونشأتها قد يطول فى متاهة المباحث اللغوية والتاريخية دون حسم، رغم أهمية الأمر على الصعيد النظرى، وربما صار الأجدى هو محاولة تلمس صيغة إجرائية تحظى بقدر من التوافق حولها. فى هذا السياق يتفق معظم الدرأسين على أن الكتابات التى يمكن نعتها بالسلفية، رغم ما قد يكون بينها من تباين، مرتبطة على نحو خاص بأعمال الإمام أحمد بن حنبل ومن نحا نحوه، وصولاً إلى كتابات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٠-١٧٩٢م) وأتباعه فى العصر الحديث [١٨]. بعبارة أخرى فإن الدراسة معنية فى هذا الصدد بمختلف المطبوعات المتعلقة بأئمة الفقه الحنبلى قديماً وحديثاً، سواء كانت تلك المطبوعات من المطولات فى عدة أجزاء، أو على شكل مختصرات وشروح ورسائل قصيرة، أو فى صورة مطبوعة دورية أسبوعية أو شهرية عبرت عن نفس الرؤى والقناعات.

الإرهاصات الأولى

يبدو أنه من الصعوبة بمكان تحديد سنة بعينها لرواج وانتشار المطبوعات السلفية فى مصر، وعلى نحو قاطع. ولعل من المفيد هنا العودة إلى ما سبق أن أبداه المؤرخ "عبد الرحمن الجبرى" فى كتابه/حولياته "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار"، وخاصة الجزء الرابع الذى تناول الربع الأول من القرن التاسع عشر، حيث أشار إلى وفود عدد من أتباع (الوهابية) إلى صحن الأزهر وسؤالهم عن أهل مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وعن الكتب الفقهية المصنفة فى مذهبه، "فقيل انقرضوا من أرض مصر بالكلية"[١٩]. فهل دلت العبارة السابقة على غياب الفكر السلفى والمشتغلين به فى مصر آنذاك؟!.

الواقع إن هناك ما يبعث على الشك فى ذلك، لاسيما وأن الجبرتى نفسه رغم أنه كان من أتباع الفقه الحنفى، بل -وعلى النقيض من كثيرين غيره- كان متحمساً ومنحازاً للدعوة السلفية ومبادئها إبان صراعها مع محمد على

باشا[٢٠]، وربما بدا أقرب إلى الصواب أن حديثه لا ينصرف إلى غياب المذهب الحنبلى على نحو تام، بقدر ما عنى قلة أتباعه، فلم يكن لهم حضوراً بارزاً بين أروقة الأزهر[٢١]. كما يجب التنويه فى هذا المقام إلى أن بعض المفردات السلفية الهامة، مثل مصطلح "السياسة الشرعية"، كان لها حضورها لاحقاً ضمن بنية خطاب أعلام الفكر الإصلاحى فى القرن التاسع عشر، مثل رفاعة الطهطاوى (١٨٠١-١٨٧٣م)، وخير الدين التونسى (١٨٢٠-١٨٩٠م)، وامتزجت بالعديد من المقولات الليبرالية، بما يعنى استمرار الفكر السلفى، حتى وإن بدا خافتاً، وهو أمر له دلالته وجدير بالدراسة[٢٢].

على أية حال، كان صدور مجلة "المنار" فى منتصف مارس ١٨٩٨م [٢٣] علامة بارزة فى هذا الأمر، بل يمكن القول بأنها قد مهدت لاحقاً لانطلاق وانتشار المطبوعات السلفية فى مصر. لقد صدرت المجلة أسبوعية لمدة عامين، ثم تحولت إلى شهرية منذ عامها الثالث، وكان يتم طبع المنار آنذاك بمطبعة التوفيق القبطية، ولم يكن الطريق ممهداً أمامها فى سنواتها الأولى، بل كثيراً ما أبدى رشيد رضا شكواه من قلة أعداد المشتركين، ومطلهم، وضعف التوزيع. ومع ذلك ما لبثت "المنار" أن شهدت انفراجة، وحظت بنصيب من الشهرة فى عامها الخامس، بعد أن نشرت عدة مقالات للإمام محمد عبده دفاعاً عن الإسلام فى مواجهة المسيحية، كما روج لها "الإمام" ودعمها بين أوساط الطبقة العليا المصرية[٢٤].

وقد أشار البعض إلى أنه، بدءاً من المجلد الحادى عشر للمنار عام ١٩٠٨[٢٥]، بدا رشيد رضا أكثر وضوحاً فى الافصاح عن نفسه، خاصة بعد تغير المشهد السياسى بصفة عامة، فضلاً عن وفاة أستاذه الإمام محمد عبده، وترك "اللورد كرومر" منصبه من مصر، فصار رشيد رضا أكثر تعبيراً عن المنحى السلفى[٢٦]. وعندنا أن ذلك ربما كان صحيحاً فيما يتعلق بالقضايا السياسية التى أحجم رشيد رضا عن الخوض فيها على نحو مباشر فى حياة أستاذه وطوال بقاء كرومر فى مصر، إلا أن مؤشرات المنحى السلفى كانت حاضرة منذ البداية

فى أعماله مثل تقريظه مبكراً لرسالة ابن تيمية "الواسطة بين الحق والخلق" فى المجلد الثالث من المنار، ثم حديثه فى المجلد السابع عن كتاب "لوامع الأنوار" للسفارينى الحنبلى، الذى تعرف من خلاله بصورة موسعة على آراء ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[٢٧]. وبطبيعة الحال، رسخت قناعاته تدريجياً على نحو ما تجلى فى معالجته، بشكل موسع وبصورة متواترة، لمفهوم أهل السنة والجماعة، حيث أسفر عن اختياره وانحيازه بوضوح لموقف الإمام الغزالى وابن تيمية وابن القيم، وتنحيته جانباً المنطق والفلسفة وعلم الكلام [٢٨].

وفى فترة لاحقة أكد رشيد رضا على نهجه السلفى فى ثنايا حديثه عن الإطار الحاكم لعمل مجلة المنار، على أساس أن قوامه "الاعتصام بحبل الله المتين.. والسير على نهج الصالحين، ناهياً عن الأحداث والبدع وتقليد الأحزاب والشيع، مبيناً أن الخير، كل الخير، فى اتباع من سلف، وأن الشر،كل الشر، فى (ابتداع) من خلف، لأن الله تعالى قد أكمل الدين، فلا يقبل زيادة كمال، فالزيادة فيه كالنقص منه خزى وضلال". وأضاف: "إننا ندعو إلى عقيدة السلف، ونحن بها مؤمنون، ونرشد من بلغته الدعوة إلى سيرتهم الدينية، ونحن على طريقها إن شاء الله مستقيمون" [٢٩].

وفى عام ١٩٠٩م، وفى حى خان الخليلى بالقاهرة، أسس محب الدين الخطيب (١٨٨٦-١٩٦٩م) "المكتبة السلفية"، بالتعاون مع عبد الفتاح قتلان[٣٠]، وكان آنذاك يعمل محرراً مع "الشيخ على يوسف" فى جريدة "المؤيد". وقد اعتمد خلال هذه الفترة على مطبعة النهضة ومطبعة المؤيد. وبحسب إعلانات المكتبة، لم يكن العمل فى البداية محصوراً فى نطاق المطبوعات السلفية فحسب، وإنما كان النشر فى مختلف المجالات فى الآداب والتاريخ والاجتماع، فظهرت أعمال لابن سينا والفارابى، ثم انتقلت المكتبة السلفية فى عام ١٩١٢م إلى جوار مكتبة المنار، بعد صارت هناك علاقات عمل وتعاون مع محمد رشيد رضا[٣١].

وبطبيعة الحال ألقت الحرب العالمية الأولى بظلالها على الجميع، وقطعت عن المنار العديد من الموارد المالية[٣٢]، كما ارتحل محب الدين الخطيب إلى

الحجاز فى عام ١٩١٦م، ملتحقاً بخدمة الشريف حسين، حيث أسس هناك جريدة "القبلة"، ولم يقطع صلته بقتلان، الذى ظل يدير المكتبة بالقاهرة. على أنه، وفى عام ١٩١٩م، حدث تغير هام، حيث صار للمكتبة مطبعتها الخاصة بها، وغيرت من اسمها ليصبح "المطبعة السلفية ومكتبتها "[٣٣]، كما أصدرت "المجلة السلفية"، كمجلة شهرية، ترأس تحريرها قتلان، وعمل طاهر الجزائرى مستشاراً لها[٣٤].

وهكذا، فإن الفترة من بداية القرن العشرين وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى، قد شهدت الإرهاصات الأولى للمطبوعات السلفية، لاسيما التحول التدريجى "للمنار"، ثم وقوفها صراحة وبقوة وراء المنحى السلفى. ويمكن القول بأن التعاون مع محب الدين الخطيب والمطبعة السلفية قد دشن بداية ما يمكن تسميته بـ "التيار السلفى"، وكان محور ارتكازه الشيخ محمد رشيد رضا وتلاميذه، وصلاته الواسعة فى أرجاء العالم الإسلامى. وفى الفترة اللاحقة، صارت الظروف أكثر مناسبة لانطلاق ورواج المطبوعات السلفية على نحو موسع[٣٥].

على أن ما سبق لا يعدو أن يكون أحد العوامل، فلم تكن جهود محمد رشيد رضا وتلاميذه منبتة الصلة عن المناخ السياسى والاجتماعى السائد، بل كانت استجابة طبيعية له، إذ بات بارزاً للعيان واقع التجزئة والانقسام للعالم الإسلامى، الذى صار أكثر عمقاً، ووصل الأمر ذروته بإعلان سقوط الخلافة فى عام ١٩٢٤م، وفى الوقت ذاته تخلى الغرب عن وعوده التى بذلها إبان سنوات الحرب العالمية الأولى تجاه العرب والمسلمين، وأظهرت التسويات اللاحقة -عقب انتهاء الحرب- أن الغرب ما انفك باحثاً عن المزيد من السيطرة والاستغلال والانحياز لمصالحه فى المقام الأول. ولم تكن خيبة الأمل بإزاء الغرب قصراً على الأوساط الشعبية فحسب، بل طالت الشكوك العميقة أيضاً بعضاً من رموز النخبة الثقافية التى طالما تبنت وبشرت بالقيم الحضارية الغربية، وأضحت ترى أن مشروعات الاستقلال والحداثة قد ذهبت أدراج الرياح [٣٦].

وكان منطقياً فى هذا الإطار أن تطفو على الساحة فى مصر العديد الجمعيات الدينية، التى كانت فى جانب منها ردة فعل على التغريب والنشاط التبشيرى المتصل خاصة بمؤتمر القاهرة فى عام ١٩٠٦[٣٧]، فضلاً عن نشاط بعض غلاة التيار العلمانى. وفيما يبدو فإن تلك الجمعيات أو التنظيمات وإن اتسمت بالطابع الدينى الصريح، إلا أنه من الصحيح أيضاً أنها كانت جمعيات البحث عن هوية فى ظل الإخفاقات المتوالية التى نكب بها العالم الإسلامى على الصعيدين السياسى والاجتماعى.

ولعل فى مقدمة الجمعيات التى برزت آنذاك، "الجمعية الشرعية"، التى أسسها الشيخ محمود خطاب السبكى (١٨٥٨-١٩٣٣م) فى عام ١٩١٢م على مذهب الإمام مالك، و"جمعية أنصار السنة المحمدية" التى تأسست فى عام ١٩٢٦م، ومؤسسها الشيخ محمد حامد الفقى (١٨٩٢-١٩٥٩م). وقد رأى البعض أن كلتا الجمعيتان كانتا وجهين لعملة، واحدة وسعت كل منهما لتحقيق نفس الأهداف، وبذات الوسائل، كما مثلتا امتداداً لمدرسة ابن تيمية وابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب، فى السير على نهج الإصلاح من خلال الكتاب والسنة واتباع السلف الصالح، والتركيز على الدعوة للتوحيد ومحاربة البدع [٣٨]. إلا أن الخلاف الرئيس بينهما كان محصوراً فى تأويل آيات القرآن الكريم الخاصة بالذات والصفات، كما تباين موقفهما من الصوفية[٣٩]. وفى الوقت نفسه كان من أهم الجمعيات الناشئة "جمعية الشبان المسلمين" التى تأسست عام ١٩٢٧م، وترأسها الدكتور عبد الحميد سعيد، وقد سارت على نهج المدرسة السلفية، وكان الشيخ رشيد رضا أحد مؤسسيها، كما كان له درساً أسبوعياً بها[٤٠].

وقد ألمح البعض إلى أن النهج السلفى عقب نهاية الحرب العالمية الأولى قد تبوأ جزءاً من صدارة المشهد الدينى، وغدا أكثر جذباً لقاطنى المدن من شرائح الطبقة الوسطى المصرية، مقارنة بالتصوف، وتزايدت الأصوات الداعية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية باعتبارها العلاج الناجع للمشكلات التى يواجها المجتمع المصرى[٤١].

وفى هذا المقام، تجدر الإشارة إلى أن مؤسسة الأزهر قد شكلت بدورها أحد روافد الفكر السلفى. وقد تمثل هذا، على وجه خاص، فى "جماعة أنصار السنة" التى انتمى إليها كثيرين من ذوى الأصول الأزهرية، بل قادوها، مثل الشيخ محمد الفقى الذى تخرج من الأزهر فى عام ١٩١٧م. كما برزت العديد من الأسماء اللامعة فى مجلة "الهدى النبوى" لسان حال الجماعة، منهم المحدث أحمد شاكر، وشيخ الأزهر لاحقاً، الشيخ محمود شلتوت، وعبد الرحمن تاج، والمفتى حسنين مخلوف. ولقد استمر توافد رجال الأزهر. فبعد وفاة الفقى، حل محله محمد عبد الرازق عفيفى، ثم عبد الرحمن الوكيل[٤٢].

انتظام المطبوعات السلفية

تكاد تتفق معظم الدراسات على أن عام ١٩٢٢م قد شهد بداية الانطلاق لتلك المرحلة [٤٣]، والتى نعنى بها اتساع نطاق النشر والتوزيع للمطبوعات السلفية بصورة أكثر انتظاماً. ولقد كان من أبرز سمات تلك المرحلة، بروز العديد من التحالفات السياسية، لاسيما بعد انغماس محمد رشيد رضا فى تقلبات السياسة وأطوارها، حتى لقد صار فى محطته الأخيرة من أبرز المؤيدين للملك عبد العزيز آل سعود[٤٤]، وصارت المنار -على حد قول البعض- لسان حال الدولة السعودية الثالثة[٤٥].

والمعروف أن الطباعة والنشر كانت إحدى الوسائل المهمة التى اعتمد عليها الملك عبد العزيز فى الرد على الحملات والدعاية المناوئة للدعوة السلفية. ولقد اعتبر البعض أن حركة النشر التى تبنتها المملكة العربية السعودية كانت فى جانب منها رجع الصدى لتطور الأوضاع السياسية والاجتماعية بها[٤٦]. وقد لجأ الملك عبد العزيز إلى الطباعة فى الهند أولا، فى مرحلة مبكرة، لوجود بعض أئمة الدعوة السلفية فيها، فضلاً عن رواج حركة التجارة آنذاك بينها وبين المملكة العربية السعودية. ولعل من أبرز ما طبع فى هذه الفترة، "تاريخ بن غنام" و"روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام". ورغم أن الكتاب لم يرد فيه اسم

الملك صراحة، فقد ذكر على غلافه أنه "طبع على نفقة من قصده الثواب من رب الأرباب، رجاء من الرحمن الرحيم أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم". كما طبع على نفقة الملك عبد العزيز أيضاً مجموعة من أعمال الشيخ سليمان بن سحمان (١٨٥٠-١٩٣٠م) مثل كتاب: "الصواعق المرسلة الشهابية على الشبهة الداحضة الشامية"، والذى طبع بالمطبعة المصطفوية، وكان رداً على كتاب محمد عطا الكسم"، أحد فقهاء الحنفية ومفتى دمشق، والذى كان بعنوان "الأقوال المرضية فى الرد على الوهابية". وتلاه، على نفس الشاكلة، كتاب "تبرئة الشيخين الإمأمين من تزوير أهل الكذب والمين" [٤٧]. ولقد اعتبر البعض أن المحطة الهندية فى إخراج المطبوعات السلفية قد استمرت ما بين عامى (١٩١٧-١٩١٩م) وكانت معنية بشرح الدعوة السلفية، والرد على المنتقدين لها فى المقام الأول. وقد طبع بعض تلك الكتب باللغة الأوردية، حيث باكستان والهند[٤٨].

وبعد توقف لنحو خمس سنوات عن الطباعة فى الهند، وفى ظل تداعيات الحرب العالمية الأولى، وما نجم عنها من خسائر عديدة، وارتفاع متزايد للضرائب، وتأثر طرق المواصلات البحرية، وإزاء تعذر استمرار الطباعة بالمطابع الهندية.. لجأ الملك عبد العزيز إلى الطباعة فى مصر منذ عام ١٩٢٢م[٤٩]. وهنا وجد فى شخص رشيد رضا أكبر عون له فى تلك المرحلة، لاسيما وأن الأخير قد ألقى بثقله فى المجال السياسى، وتخلى عن دعمه السابق للشريف حسين، وصار من أبرز منتقديه[٥٠]، وباتت لدية قناعة بأن المملكة العربية السعودية هى القادرة، ليس على توحيد الجزيرة العربية فحسب، بل هى الأكثر تعبيراً عن استقلال الإسلام آنذاك[٥١].

مطبعة المنار

كانت أولى مطبوعات المنار، برعاية الملك عبد العزيز آل سعود، رسالة/كتاب "إرشاد الطالب إلى أهم المطالب"، ومعه رسالة/كتاب "منهاج أهل الحق والاتباع فى مخالفة أهل الجهل والابتداع" وكلتاهما رسالتان لسليمان بن سحمان، وطبعتا عام ١٩٢٢م[٥٢]. وقد كتب محمد رشيد رضا بعض التعليقات على الرسالة

الأخيرة، كما قام بحذف بعض آراء المؤلف، ونبه إلى ذلك فى موضعه. ومن هنا لقى هذا الإجراء فى النشر امتعاضاً واستنكاراً من بعض علماء نجد[٥٣] .

والحقيقة أن رشيد رضا قد عبر عن بعض تحفظاته تجاه بعض علماء نجد، ووصفهم بالغلو والتشدد فى الدين. ويبدو أن ذلك لم يكن قاصراً عليه وحده، بل سادت نفس النظرة لدى بعض معاصريه البارزين، مثل ابن باديس، والأمير شكيب أرسلان، وكانوا جميعهم فى الوقت ذاته من أبرز المؤيدين والداعمين سياسياً للملك عبد العزيز، معتبرين أنه أكثر اعتدالاً، وأنه قادر على التخفيف من حدة هذا الغلو السائد[٥٤]. كما أيد رشيد رضا لاحقاً نهج الملك فى مواجهة "حركة الإخوان"، وعبر عن ذلك فى تقديمه لكتاب "صيانة الإنسان "رداً على كتاب زينى دحلان "الدرر السنية"، مشيرا إلى أن الإمام محمد عبده كان "يعتقد فى هداية سلفهم (يقصد الإخوان) وتشدد خلفهم، وأنه لولا ذلك لكان إصلاحهم عظيماً.. وقد ربى الملك عبد العزيز الفيصل -أيده الله- غلاتهم المتشددين منذ سنتين بالسيف، تربية يرجى أن تكون تمهيداً لإصلاح عظيم "[٥٥].

ولعل أشهر ما طبع آنذاك هو "تفسير البغوى"، وكتاب "المغنى" فى الفقه، وكتب أخرى فى الحديث والتوحيد، حتى صارت مطبعة المنار هى الأبرز فى نشر أعمال الفقه الحنبلى[٥٦]. وقد أشار رشيد رضا إلى قصة نشر كتاب "المغنى والشرح الكبير" فى عام ١٩٢٣م، حيث استغرق النشر ثمان سنوات وأحدث ضجة إعلامية كبيرة. وقد امتدح رشيد رضا الملك عبد العزيز فى ختام الجزء الثانى عشر والأخير من كتاب المغنى والشرح الكبير، واصفاً إياه بأنه: "إمام السنة، ومحى عدل الخلفاء وعلوم الأئمة، مؤسس المملكتين، وخادم الحرمين الشريفين عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ملك الحجاز ونجد، وعاهل العرب فى كل غور ونجد ـ أعزه الله تعالى وأعز به العرب الإسلام، ونفع به الأنام" ـ وأضاف: "لولاه لما أقدمنا ولا أقدم غيرنا على طبعه، لأن التجار لا يقدمون على طبع إثنى عشر مجلداً لأحد فقهاء مذهب الإمام أحمد، مع قلة الحنابلة فى الأمصار وفقرهم"[٥٧].

كما صدر فى تلك الفترة أعمال أخرى طُبعت بالمنار. ففى عام ١٩٢٤م صدر كتاب "الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية" من جمع سليمان بن سحمان، وقد تضمن خمس رسائل لعلماء نجد، من أبرزها رسالة عبد العزيز بن محمد بن سعود. وفى رأيه أنه قد تزامن صدوره مع اشتداد الحملة الإعلامية التى تبناها الشريف حسين، تنفيذاً لأغراض الدولة العثمانية فى ظل سيطرة الاتحاد والترقى، ولذلك كان يتم توزيع كتاب التحفة السنية مجاناً بمكتبة المنار، كما نشر رشيد رضا عدة مقالات بالأهرام دفاعاً عن الدعوة السلفية، جمعها فيما بعد فى كتاب بعنوان: " الوهابيون والحجاز)، وأعيد طبع كتاب "التحفة" مرة أخرى فى عام ١٩٢٦م، وقام محمد ابن إسماعيل البغوى، من علماء الحديث بالهند، بترجمة الكتاب ونشره باللغة الأوردية[٥٨].

وفى عام ١٩٢٤م صدرت أيضاً عن المنار الطبعة الثانية من كتاب "مجموعة الحديث النجدية"، وتضمنت المجموعة نحو تسع كتب ورسائل، بعضها للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد طبعت المجموعة طبعتان؛ طبعة شعبية وطبعة فاخرة، حرصاً على توزيعها بين عدد كبير من القراء. وفى العام التالى طبع كتاب "تنبيه ذوى الألباب السليمة عن الوقوع فى الألفاظ المبتدعة الوخيمة"، ومعه كتاب "تبرئة الشيخين الإمأمين من تزوير أهل الكذب والمين"، وكلاهما لابن سحمان[٥٩].

وتوالت مطبوعات المنار برعاية الملك عبد العزيز، فصدر فى عام ١٩٢٦م كتاب "الضياء الشارق فى رد شبهات الماذق المارق" لابن سحمان، ليرد فيها على رسالة "الفجر "للشاعر العراقى المعروف جميل صدقى الزهاوى (١٨٦٣-١٩٣٦م)، كما صدرت "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" فى عدة أجزاء ما بين عامى ١٩٢٦ و١٩٢٨م، حيث ضم الجزء الأول مجموعة فتاوى ورسائل لعلماء نجد، واحتوى الجزء الثانى على رسائل لعبد الرحمن بن حسن، وحمد بن ناصر بن معمر، وعبد الله بن عبد الرحمن، وعرض الجزء الثالث لرسائل لعبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن وفتاويه، واشتمل الجزء الرابع على فهارس المجموعة،

كما صدرت فى عام ١٩٢٦م ثلاثة كتب منها "مجموعة رسائل وفتاوى فى مسائل مهمة تمس حاجة العصر"، ودار معظمها حول التنبيه بوجوب طاعة الحاكم ومفسدة الخروج عليه، والنهى عن الغلو فى الدين[٦٠].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن مطبعة المنار لم تكن منوطة بطباعة عدد النسخ المتفق عليها فحسب، والتى كانت وقفاً للتوزيع مجاناً فى المملكة العربية السعودية وغيرها من بقاع العالم الإسلامى، بل كانت تقوم بطباعة نسخ إضافية أخرى توزع وتباع لحسابها. وقد أشار رشيد رضا إلى أنه كان يتبع هذا الإجراء بعد استئذان الملك عبد العزيز فى زيادة عدد النسخ المطبوعة، وكان كتاب "الآداب الشرعية والمنح المرعية" آخر ما طبعته المنار فى عام ١٩٣١م، وأشار رشيد رضا إلى أن انقطاع المطبوعات الملكية قد أضرت اقتصادياً بالمنار، وهى التى اشتهرت -على حد قوله- بين الناس بأنها لا تقبل غير مطبوعات الملك عبد العزيز[٦١] .

المطبعة السلفية

كانت تلك المطبعة تالية فى نشأتها لمطبعة المنار، وكانت النواة الأولى لها، كما سبق القول، متمثلة فى المكتبة السلفية التى أسسها محب الدين الخطيب فى عام ١٩٠٩م، وما لبثت أن توسعت تدريجياً وصارت لها مطبعتها الخاصة فى عام ١٩١٩م. ومن أوائل الكتب التى أصدرتها المطبعة السلفية كتاب "روضة الناظر وجنة المناظر" فى أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد، لموفق الدين بن قدامة المقدسى، وطبع مع الكتاب شرحه المسمى "نزهة الخاطر العاطر" لابن بدران عام ١٩٢٤م. كما صدر عنها أيضاً فى عام ١٩٢٨م كتابان لابن تيمية، هما "تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكرى"، وطبع بهامشه كتاب "الرد على الإخنائى، واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية" [٦٢].

ونظراً للطلب المتزايد على المطبوعات السلفية برعاية الملك عبد العزيز، افتتح محب الدين الخطيب، بالشراكة مع عبد الفتاح قتلان ومحمد صالح

ناصيف، فرعاً للمطبعة السلفية بمكة. والأغلب أن تلك المطبعة كانت فى الأصل مطبعة المنار القديمة، وقد باعها محمد رشيد رضا بعد أن طور إمكانيات مطبعته، وكان من بين إصدارات الفرع الجديد كتاب "مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" لابن القيم فى عام ١٩٣٠م. كما أصدرت كتاب "السنة" للإمام أحمد ابن حنبل، وكتاب "شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية"، بإشراف لجنة من العلماء، على رأسها الشيخ عبد الله بن حسن آل شيخ، وذلك فى عام ١٩٣١م[٦٣].

وبطبيعة الحال كان من المساهمات المهمة لمحب الدين الخطيب إصداره لمجلة "الزهراء" فى عام ١٩٢٤م، وكانت تصدر شهرية، واستمرت فى الصدور لخمس سنوات. كما أصدر أيضاً مجلة "الفتح" الأسبوعية فى عام ١٩٢٦م، والتى استمرت إلى عام ١٩٤٧م. وعلى حين كانت مجلة "الزهراء" أدبية الطابع ولم تخض فى الدين والسياسية، اتجهت مجلة "الفتح" لمعالجة القضايا الدينية. ولقد لعبت "الفتح" على وجه خاص دوراً بالغ الأهمية فى تعزيز آليات التعاون بين أنصار التيار السلفى، فكان من بين من التقاهم محب الدين الخطيب فى القاهرة الجزائرى إبراهيم أطفيش (١٨٨٤-١٩٦٥م). وقد نشرت له المطبعة السلفية كتابه "الدعاية إلى سبيل المؤمنين"، وكان هو قائماً على إصدار مجلة المنهاج، وبعد تعثرها آلت إدارتها لمحب الدين الخطيب[٦٤]. كما تواصل التعاون بين الخطيب والشيخ إبراهيم بن عيسى (أبو اليقظان، ١٨٨٨-١٩٧٣م) الذى استعان بمقالات الأول فى "الفتح" وأعاد نشرها بصحيفة الأمة معتبراً إياه شريكاً له فى رسالة واحدة، كما أبرز إعلانات المكتبة السلفية وإصداراتها وكيفية إتاحتها للراغبين عبر إدارة جريدته. كما استعان (الخطيب) أيضاً بالحلقة القريبة لرشيد رضا، مثل شكيب أرسلان، ومحمد على الطاهر[٦٥]، وتكرر التعاون نفسه مع الليبى سليمان البورينى (١٨٧٠-١٩٤٠م) فى جريدته "السعد الإسلامى"[٦٦]. وفى كنف المطبعة السلفية أيضاً، صدرت صحف جماعة الإخوان المسلمين تباعاً، فظهرت جريدة الإخوان فى عام ١٩٣٣م، وقد بشرت بها ودعت إليها الفتح، ثم مجلة

النذير فى عام ١٩٣٩م، ومجلة الإخوان فى عام ١٩٤٥م، وجريدة الإخوان اليومية فى عام ١٩٤٦م [٦٧].

مطبعة أنصار السنة

كانت "مطبعة أنصار السنة" من أبرز المطابع التى ساهمت بصورة ملحوظة فى إخراج المطبوعات السلفية. أما مؤسسها فهو الشيخ محمد حامد الفقى، وهو من تلاميذ رشيد رضا. وقد أقام بمكة ثلاث سنوات فى الفترة (١٩٢٩-١٩٣١م) بدعوة من المفتى محمد بن إبراهيم للتدريس بالطائف، كما قام بالتدريس أيضاً بالجامعة الإسلامية بالرياض، والمعهد العالى للقضاء، وشغل العديد من المناصب الرفيعة بالمملكة العربية السعودية[٦٨]. ومن بين الأعمال التى أصدرتها تلك المطبعة، "مختصر الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية، و"التفسير القيم للإمام ابن القيم"، و"تهذيب سنن أبى داود"، و"نظرية العقد" لابن تيمية، و"روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حيان". ومن مؤلفات الشيخ الفقى: "أثر الدعوة الوهابية فى الإصلاح الدينى والعمرانى" [٦٩]. ويمكن القول بأن مطبعة أنصار السنة كانت امتداداً وتتمة لدور المنار. وفى مقدمة تحقيقه لكتاب "الأحكام السلطانية لأبى يعلى" فى عام ١٩٦٦م قرظ الشيخ الفقى جهود الملك عبد العزيز، ودعمه لنشر المطبوعات السلفية بقوله: "فإن باعه فى نشر آثار السلف أطول باع، ويده فى بذل المال لذلك أسخى يد عرفناها فى هذا العصر"[٧٠].

كما صدر عن مطبعة أنصار السنة كتاب "مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية" للبعلى فى عام ١٩٤٩م، وأشرف على صدوره الشيخ عبد المجيد سليم "مفتى الديار المصرية سابقاً ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر"، وعنى بتصحيحه الشيخ محمد الفقى[٧١]. كما طبع أيضاً كتاب "الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب" فى عام ١٩٥٣م، إحياء لذكرى الأمير منصور بن عبد العزيز.

وكان كتاب "جامع الأصول من أحاديث الرسول" للجزرى هو آخر ما طبعه الملك عبد العزيز بمطبعة أنصار السنة، وقد استغرقت طباعته نحو خمس

سنوات فى إثنى عشر مجلداً، فصدر الجزء الأول فى عام ١٩٤٩م، بتحقيق الشيخ الفقى وإشراف الشيخ عبد المجيد سليم. وبالطبع فإن هذا العمل الموسوعى الضخم قد أعاد إلى الأذهان ما قام به رشيد رضا من قبل فى إخراج المغنى وتفسير البغوى[٧٢].

وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلى أن مجلة "الهدى النبوى" كانت من المطبوعات المهمة الصادرة عن مطبعة أنصار السنة، إذ كانت لسان حال الجماعة منذ نشأتها فى عام ١٩٣٦م. وقد حدد الشيخ الفقى أهدافها ونهجها السلفى بقوله: "إن من أهم أغراض هذه المجلة أن تقدم ما تستطيع من خدمة ونصح وإرشاد فى الشئون الدينية.. وأن تتحرى الحق، وأن لا تأخذ إلا ما ثبت بالدليل والحجة والبرهان الصحيح من كتاب الله تعالى وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم". وقد تعاقب على رئاستها الشيخ الفقى، ثم الشيخ عبد الرحمن الوكيل إلى عام ١٩٦٦م، حيث أدمجت الجماعة مع الجمعية الشرعية وتوقف صدور مجلة الهدى النبوى[٧٣] .

مطابع أخرى

رغم قيام مجلة المنار والمطبعة السلفية بالعبء الأكبر فى إصدار المطبوعات السلفية فى مصر، إلا إن ذلك لم يمنع من الاستعانة بشراكة مطابع أخرى، على نحو ما حدث فى طباعة كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير فى أربعة عشر مجلداً. لقد أخرجت مطبعه كردستان العلمية لصاحبها "فرج الله الكردى"[٧٤] الجزء الأول من الكتاب فى عام ١٩٢٩، وظهر اسم الملك عبد العزيز فى الصفحة الثانية من الكتاب مقروناً بالشكر على إحيائه آثار السلف. وفى عام ١٩٣٢م تواصلت طباعة الأجزاء من الثانى حتى الخامس، بواسطة مطبعة السعادة، والمطبعة السلفية، ومكتبة الخانجى، واستكملت بقية الأجزاء من الجزء السادس إلى الجزء الرابع عشر بمطبعة السعادة، وكان توزيع الكتاب يتم عادة عقب الانتهاء من طباعة كل جزء[٧٥].

كما كانت هناك محاولة محدودة للنشر فى بلاد الشام، تمثلت فى طبع كتاب "روضة المحبين ونزهة المشتاقين" لابن القيم الجوزية بمطبعة الترقى بدمشق فى عام ١٩٣٠م، وكتاب "طبقات الحنابلة" لأبى يعلى، باختصار النابلسى، بمطبعة الاعتدال فى عام ١٩٣١م، وكلاهما بتصحيح وتعليق أحمد عبيد(٧٦).

وكان لافتاً للانتباه أيضاً مساهمة دار المعارف فى هذا الصدد، حيث أصدرت بواسطة "أحمد شاكر" كتابين للشيخ محمد بن عبد الوهاب، هما: "التوحيد الذى هو حق الله على العبيد" و"الأصول الثلاثة وأدلتها"، وقد تزامن طبعهما مع زيارة الملك عبد العزيز إلى مصر فى عام ١٩٤٦م(٧٧).

ويمكن القول بأن فترة الدراسة شهدت نمواً مطرداً وتسارعاً فى وتيرة نشر المطبوعات السلفية كماً وكيفاً، وكان للدعم الخارجى دوراً محققاً فى إحياء ونشر الآثار السلفية المخطوطة والمطبوعة بصورة منتظمة. ولعل السعى وراء هذا الهدف كان باعثاً للاستعانة بالمطابع المختلفة، بصرف النظر عن طبيعتها أو توجهاتها الفكرية (٧٨) .

ومن المهم الإشارة إلى أن المطبوعات السلفية التى شهدتها فترة الدراسة لم تكن قصراً على تلك المطابع التى نالت قدراً من الرعاية الخارجية، على نحو ما سبقت الإشارة إليه، وإنما انخرطت أيضاً العديد من المطابع فى إخراج المطبوعات السلفية باعتبارها جزءاً من خطتها العامة فى نشر الأعمال التراثية على تنوعها، حاصة إذا كانت تلك المطبوعات تحظى بقدر من الإقبال عليها. ومن الصعوبة بمكان تتبع منشورات تلك المطابع على نحو كامل. ولعل من الأمثلة البارزة فى هذا الصدد كتاب "درء التعارض بين العقل والنقل" لابن تيمية، والذى طبع بمطبعة بولاق فى عام ١٩١٣م، وأيضاً كتاب "الفتوى الحموية" ,والذى كان موضع اعتراض من جانب معاصرى ابن تيمية، وقد حقق فيه مذهب السلف فى الصفات على نحو غير مألوف، وقد طبع بالمطبعة العامرة الشرفية فى عام ١٣٢٣هـ. والكتابان المذكوران من أفضل الكتب التى اشتملت على عقيدة السلف

بوضوح، وقد نقل عنهما رشيد رضا كثيراً فى مجلة المنار [٧٩].

كما طبع أيضاً كتاب "الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية" فى عام ١٩٠١ لابن القيم بمطبعة المؤيد [٨٠] وهى المطبعة التى طبعت فى العام نفسه لابن تيمية كتاب "الحسبة"، ورسالة "معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول"[٨١]. كما أصدرت المطبعة الخيرية كتاب "الصارم المنكى فى الرد على السبكى" لأبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسى الحنبلى [٨٢]. وعلى نفس المنوال أخرجت مطبعة وادى النيل كتاب: "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لابن تيمية [٨٣]، بل إن المطبعة الميمنية التى أنشأها مصطفى البابى الحلبى قد أصدرت العديد من الأعمال التراثية الضخمة، كان من أبرزها "مسند الإمام أحمد بن حنبل" وبهامشه كتاب "منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال" لعلاء الدين المتقى الهندى، فى ستة أجزاء من القطع الكبير، وذلك فى عام ١٨٩٨م[٨٤].

على صعيد آخر لا توجد معلومات كافية حول القواعد الإجرائية والآليات التى تم اتباعها فى نشر المطبوعات السلفية، وما تضمنته من تفاصيل حول الجوانب المادية وغيرها. ويبدو أن الأمر كان يتفاوت فى النشر من عمل إلى آخر. وقد أشار رشيد رضا عرضاً إلى هذا الجانب بقوله: "إنما نطبع ما نطبع ونقدم لجلالته (يقصد الملك عبد العزيز آل سعود) عند إتمام بعضها كشفاً، فاتورة بنفقتها، ونطلب منه مبلغاً من الدراهم على الحساب سلفاً أو متأخراً، فيرسله، وكل ذلك يقيد فى دفاتر المطبعة"[٨٥].

وكان النهج المتبع فى الطباعة موضع انتقاد فى بعض الأحيان، على نحو ما جرى فى كتاب المغنيى، حيث استغرق طبع الكتاب فترة زمنية طويلة، واتسم العمل فى إخراجه بالبطء الشديد، فكان يتم طبع أحد الأجزاء، ثم يتوقف العمل ويستأنف مرة أخرى. ورغم ذلك لم تراعى الدقة المطلوبة فى التصحيح[٨٦]، فضلاً عن الآثار الناجمة عن التقلب فى أثمان الورق وأسعار الكتب. وقد سعى

رشيد رضا لتبرير ذلك بقوله: "إن الملك (عبد العزيز) قد أرسل إليه مجموعة من كتب السلف المطولات، وكتب أخرى من الفقه والسنة، مما لم يعتد طباعته بهذا الحجم. وأضاف فى موضع آخر أنه "يود أن يخدم الكتب التى أرسلها إليه جلالته، بتخريج أحاديثها والعناية بتصحيحها، ولكن حال دون ذلك كثرة الشواغل، وقلة المساعد، واستعجال جلالة الملك بطبعها"[٨٧].

كما تفاوتت أعداد النسخ المطبوعة من كتاب لآخر. فكتاب المغنى قد حدد له فى البداية خمسمائة نسخة فقط لتوزع على علماء نجد، إلا أن الطلب تزايد عليه، فطبعت منه نسخ أخرى إضافية. أما كتاب طبقات الحنابلة فكان مقرراً طباعة ألف نسخة منه، بينما ارتفع العدد كثيراً عند طباعة الرسائل الصغيرة، مثل رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب التى وصلت إلى خمسة آلاف نسخة للرسالة. كما أظهرت بعض المرأسلات أسماء بعض وكلاء الملك عبد العزيز المكلفين بمتابعة المطبوعات المراد نشرها. ومن هؤلاء الوكلاء عبد المحسن بن مرشد، أحد التجار النجديين، ومعه عبد العزيز القصيبى لإدارة مطبوعات الملك بالهند. أما فى مصر فكان هناك الشيخ محمد ابن مانع، والشيخ فوزان السابق[٨٨].

ويبدو أن الانتقادات السابقة قد شجعت البعض على اتهام رشيد رضا بالاحتيال على الملك، عندما أقنعه بطبع كتاب المغنى، وتفسير ابن كثير، واضطر رشيد رضا بدوره أن يكتب فى المجلد الثامن والعشرين لتبرئة ساحته مما ذكر من شبهات حول علاقته بالملك عبد العزيز وتأييده للمملكة، وأوضح أن ما قام به كان لوجه الله ولخدمة الإسلام، وذكر أن ما يثار حوله هو "جزء من هجمة إعلامية يشنها عليه بعض ملاحدة عصره، بسبب تمسكه بالمذهب السلفى، وعلو مكانته لدى الملك عبد العزيز"[٨٩].

الخطاب العام للمطبوعات السلفية

يمكن القول بأن القضية الرئيسة التى دار حولها جوهر خطاب المطبوعات

السلفية قد تمثلت فى جانبين، أولهما ما تعلق بالردود على معارضى الدعوة والمناوئين لها، مع الحرص على توضيح المقاصد الرئيسة لها فى الوقت ذاته. ومن النماذج البارزة فى هذا الصد أعمال الشيخ سليمان ابن دحمان، التى تفاوتت فى حجمها. فرسالته "تبرئة الشيخين الإمأمين" لم تتجاوز المائة صفحة، وكان الهدف منها دحض ما جاء فى منظومة شعرية نسبت إلى الأمير محمد بن إسماعيل الصنعانى، وتضمنت هجاء للشيخ محمد بن عبد الوهاب[٩٠]. وعلى نفس الشاكلة أيضاً كتابه "الضياء الشارق فى رد شبهات الماذق المارق"، وإن كان قد تجاوز فى هذه المرة السبعمائة صفحة، وكان منوطاً بالرد على رسالة الشاعر العراقى جميل صدقى الزهاوى. وقد اتسمت كتابات ابن سحمان بطابعها الخاص؛ فهو على حد وصف البعض قد "جرد قلمه للرد على هؤلاء المغرضين، ولسانه برائع الشعر على المارقين، فصار يكيل لهم الصاع صاعين، بقوة الكلام وسطوع الحجة وصحة البرهان، فيدحض أقوالهم.."[٩١] .

أما الجانب الثانى الذى عنيت به المطبوعات السلفية، فكان منوطاً بإبراز الإطار المرجعى العام للنهج السلفى، والحث على إنزاله على الواقع السائد باعتباره صحيح الإسلام. وبطبيعة الحال فإن الدراسة ليست معنية بالحديث عن الجوانب العقدية، وإنما نشير وحسب فى هذا الصدد إلى القواعد العامة التى جرى التأكيد عليها باعتبارها الثوابت والأصول الرئيسة للنهج السلفى، والتى تمثلت فيما يلى:-

أولاً: الايمان بظاهر القرآن الكريم، وهى قاعدة أساسية عند أهل السنة والجماعة، خلافاً للمتكلمين الذين يرفضون هذه القاعدة.

ثانياً: الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة .

ثالثاً: رفض التأويل.

رابعاً: الرد عند التنازع للكتاب والسنة.

خامساً: التأكيد بأن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم[٩٢].

وعلى صعيد آخر، أولت بعض المطبوعات، خاصة المطبوعات الدورية "كالمنار"، و"الفتح" اهتماماً متزايداً بالقضايا والتحديات العامة التى واجهت المسلمين على المستويات السياسية والاجتماعية، فدعت "المنار" إلى حث المسلمين على الوحدة ونبذ الفرقة، والتحذير من تنامى دور الإرساليات التبشيرية فى أرجاء العالم الإسلامى، كما دعت إلى العناية بالتربية الإسلامية لطلاب المدارس، وهاجمت بعنف سلوك وممارسات الطرق الصوفية، وعرضت للعديد من القضايا مثل قضية القروض وسندات وفوائد البنوك، كما حذرت من تفشى بعض الظواهر الاجتماعية؛ مثل ظاهرة البغاء، وانتقدت المنار توجهات بعض كتابات المستشرقين وأعمال بعض الكتاب المعاصرين، خاصة جورجى زيدان، وشبلى شميل، وسلامة موسى، وعلى عبد الرازق [٩٣].

ولم تكن المعارك الخلافية قاصرة على أنصار التيار الليبرالى وحده، وإنما امتدت أيضاً إلى بعض الكتاب من ذوى الاتجاه الإسلامى، مثل الخلافات مع محمد فريد وجدى حول كتابه "كنز العلوم واللغة"[٩٤]، والجدل مع الشيخ يوسف الدجوى حول وجوب الإيمان بظاهر القرآن الكريم[٩٥].

وقد سارت مجلة "الفتح" على درب مجلة "المنار" فى مهاجمة التغريب والتبشير وما يروج لبعض المذاهب، مثل البابية والقاديانية، ودخلت فى معارك فكرية مع كتابات سلامة موسى، وطه حسين، ومحمود عزمى، ومنصور فهمى. كما أفردت بعض صفحاتها للحديث عن معاناة الأقليات الإسلامية فى الهند وجنوب أفريقيا والبوسنة والجزائر، ورصدت أيضاً النشاط الصهيونى المتزايد، وعرضت لقضية البراق وتهويد فلسطين. وأفسحت "الفتح" المجال أمام كثير من الكتاب، منهم شكيب أرسلان، وعبد الباقى سرور، ومحمد حامد الفقى، ويوسف الدجوى، ومولاى محمد على، ومحمد أحمد الغمراوى، وعبد الوهاب عزام، كما برزت فيها أسماء عديدة مثل حسن البنا، ومحمد بخيت المطيعى، وعبد المنعم خلاف[٩٦].

وعلى حين استأثرت القضايا الاجتماعية بالاهتمام، لاسيما قضايا التعليم والتغريب، ابتعدت فى الأغلب الأعم عن القضايا السياسية، ربما باستثناء رشيد رضا الذى كانت له مواقفه السياسية، بل جاء التطرق إلى القضايا السياسية على نحو غير مباشر، وبصورة عامة، كالدعوة إلى وحدة المسلمين، والوقوف فى وجه الاستعمار، والتنديد بالممارسات الاستعمارية فى الجزائر وإندونيسيا[٩٧] .

وكان لافتاً للانتباه أن المطبوعات السلفية قد حملت بشدة على أنصار الفكرة الوطنية والقومية، معتبرة أن تلك الأفكار مدعاة للانقسام والتشرذم، وأن الرابطة الإسلامية تجب غيرها من الروابط، وأن الهوية الإسلامية وحدها هى التى يجب أن تسود [٩٨]. وقد لاحظ البعض أن "المنار" قد سارت على خطى "العروة الوثقى" فى كل الجوانب، ما عدا معارضة الاحتلال البريطانى. ورغم النزعة الإسلامية للحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل وتبنيه لفكرة الجامعة الإسلامية، فلم يوافق رشيد رضا على هذه الاتجاه[٩٩]، وعلق على ما نشرته جريدة "اللواء" بأنه جناية على الإسلام لسعيها "بتحريك عصبية الجاهلية، بتفريق المسلمين إلى جنسيات مناطها الوطنية"[١٠٠].

ولم يكن ذلك رأياً فردياً خاصاً برشيد رضا، بل يمكن القول بأنها رؤية عامة للنهج السلفى الذى اعتمد إطاره الحاكم فى عالم السياسة على فكرة الأمة الإسلامية وليس على فكرة الدولة القطرية فى المقام الأول، وعبر عن هذا المعنى بصورة كاشفة الشيخ عبد الرحمن الوكيل، أحد أعلام السلفية بقوله: "يعيب علينا بعض المثقفين أو الأغرار أننا لا نشتغل بالسياسة، ولست أدرى مإذا يعنون بمفهوم السياسة؟ أيعنون بها أن نسير فى مواكب الأحزاب؟ أو يعنون بها تلك المقالات ذات الطنين الذبابى، التى يزعم أصحابها أنهم يحاربون الفساد وهم مفسدون، أليس ذلك هو مفهوم السياسة فى مصر وحقيقتها فى الشرق؟!. وإن كانوا يعنون بالسياسة العمل فى سبيل رقى الوطن واستقلاله، فنحن نعمل لما هو أسمى وأكمل وأشمل، إذ لا ننظر للوطنية هذه النظرة القصيرة البلهاء، ولا ننظر إلى مصر إلا على أنها جزء من الوطن الإسلامى الأكبر؛ فالإسلام ليس له وطن

خاص، بل العالم كله يجب أن يكون وطناً له، والإسلام ليس دين المصريين ولا العرب فحسب، وإنما هو دين يجب أن يتوحد الشرق والغرب تحت حكمه ويعمل بشريعته"[١٠١].

إن الدلالة المهمة للفقرة السابقة تتمثل فى أن الشأن السياسى ليس مستبعداً تماماً من النهج السلفى، كما قد يتبادر إلى الأذهان، بل له حضوره الفعال، إلا أن قاموس السياسة ومفرداتها لها خصوصيتها فى هذا النهج، فهى تدور فى فلك منظومة "السياسة الشرعية" التى يتم استدعاءها دوماً من آن لآخر، وفى مقدمة تلك المفردات عالمية الدعوة، وعالمية الأمة والتى شكلت بدورها هاجساً مسكوناً ومستمراً للغرب تجاه الإسلام (المحافظ) لأنه ليس مقيداً بحدود قومية أو إقليمية، فهو عالمى فى نظرته وشموليته.

أما الموقف من الحاكم، وفقاً للنهج السلفى، فهو لا يخرج عن الطاعة والنصح. وفى تأكيده على ذلك المعنى، أشار البعض إلى أن "جماعة أنصار السنة جماعة دعوية، جعلت من منهجها كيفية التعامل مع الحكام باعتبارها أداة إصلاح، وأنهم يحتاجون إلى إصلاح، فاتخذت منهج السلف فى التعامل مع الحكام، وهو المنهج الصحيح المنضبط، فهى ترى الدعاء لهم بالهداية والصلاح، وترى الصلاة خلفهم ونصيحتهم بما لايثير الفوضى ولا يؤدى إلى مفاسد أكبر[١٠٢].

ومن الصعوبة بمكان التكهن بمدى تأثير المطبوعات السلفية على المجتمع المصرى على نحو دقيق. فقد كان لها بطبيعة الحال معارضين ومؤيدين، وليست هناك سوى إشارات محدودة فى هذا الصدد. ففى استعراضه لسيرة الشيخ محمد راضى، مفتى ديوان الأوقاف، أشار رشيد رضا إلى سماته، ومنها صراحته حتى وإن أغضب العامة من الناس، كإنكاره لزيارة الأضرحة والقبور "واتهمه البعض لذلك وسموه وهابياً، وهم لا يدرون ما هو الوهابى، وإنما هى ألفاظ يرمونها من غير فهم ولا عقل، فعزلته الحكومة.. ثم تبين لها أن ما قاله ليس إلا

الحق الذى هو مذهب السلف.. وعاد إلى منصبه"[١٠٣].

كما ذكر تقى الدين الهلالى (١٨٩٤-١٩٨٧م) أنه عندما جاء إلى مصر فى عام ١٩٢٢م، التقى بأحد شيوخ السلفية بالإسكندرية، وهو عبد الظاهر أبو السمح (١٨٨٨-١٩٥٠م) وكان واعظاً بمسجد الرمل، ووجد رفضاً له من الناس واتهم بالوهابية، وتم توقيفه عن الوعظ. والجدير بالذكر أن كلاً من الهلالى وأبو السمح كانا من تلاميذ رشيد رضا فى مدرسة الدعوة والإرشاد، وصار الأخير لاحقاً إماما للحرم المكى، فى عهد الملك عبد العزيز[١٠٤].

وبالمقابل كان للنهج السلفى أتباعه ومريديه، ليس فى مصر فقط، وإنما فى أرجاء العالم الإسلامى، واستطاعت المطبوعات السلفية (خاصة الدوريات كالمنار والفتح والهدى النبوى) أن يكون لها تواجدها على الساحة الفكرية، كما قدمت رؤيتها حيال العديد من القضايا العامة على تنوعها؛ مثل الدعوة إلى إصلاح المحاكم الشرعية والمناهج الدرأسية فى الأزهر، كما أسهمت إسهاماً ملحوظاً فى التعريف بقضايا وأحوال الأقليات الإسلامية [١٠٥].

ومما سبق يتبين لنا أن المطبوعات السلفية التى شهدتها مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين كانت تعبيراً عن أحد التيارات الفكرية والاجتماعية السائدة، كما كانت بدورها استجابة لجملة المتغيرات الداخلية والخارجية التى مر بها المجتمع المصرى، وفى مقدمتها حالة الضعف والانقسام، خاصة عقب إلغاء الخلافة فى عام ١٩٢٤م، فضلاً عن استمرار التكالب الأوربى على العالم الإسلامى. وقد مر بنا فى سياق البحث أن العديد من التراث السلفى قد وجد طريقه للنشر، جنباً إلى جنب مع سائر الأعمال التراثية التى تبنتها الكثير من دور الطباعة مثل مطبعة بولاق وغيرها من المطابع الأهلية. على أن هذا التراث قد نمى كماً وكيفاً بصورة ملحوظة ومنتظمة، من خلال الدعم المالى الذى قدمه الملك عبد العزيز آل سعود، واضطلعت بهذه المهمة على نحو خاص مطبعتى المنار وأنصار السنة.

وفضلاً عن انخراطها فى العديد من المعارك الفكرية مع آخرين، استطاعت المطبوعات السلفية التى شهدتها فترة الدراسة تقديم تعريفاً عاماً بالنهج السلفى وما يحكمه من ثوابت، كما قدمت العديد من الأسماء البارزة مثل محمد رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، ومحمد حامد الفقى، ومحمد عبد الرازق عفيفى، وعبد الرحمن الوكيل، وعبد المجيد سليم، وأحمد شاكر وغيرهم من الشخصيات التى صارت مرجعيات سلفية لها ثقلها.

ويمكن القول بأن النهج السلفى كان له حضوره الدائم، حتى وإن بدا خافتاً. وقد سبقت الإشارة إلى أن "السياسة الشرعية" كانت جزءاً مهماً من بنية الخطاب الإصلاحى ذو التوجه الليبرالى فى القرن التاسع عشر. على أنه بات واضحاً أن النهج السلفى قد اكتسب أرضية اجتماعية متزايدة فى النصف الأول من القرن العشرين، وربما كان أحد الأسباب الرئيسة وراء هذا الانتعاش والزخم جملة المتغيرات الداخلية والخارجية التى شهدها المجتمع المصرى، إضافة إلى واقع التجزئة والضعف الذى أصاب العالم الإسلامى، وما رافقه من دعاوى التحديث والتغريب، وكانت الجمعيات الدينية والسياسية على تباينها استجابة حقيقية لأزمة البحث عن هوية يفتقد إليها الجميع آنذاك.

والملاحظ أن المد السلفى قد بدأ فى التصاعد عقب أعقاب الحرب العالمية الأولى، ووصل هذا التصاعد مداه خلال ثلاثينيات القرن العشرين، حتى أن العديد من الرموز الليبرالية غلب على أعمالها الطابع الإسلامى (على هامش السيرة لطه حسين، حياة محمد لمحمد حسين هيكل، عبقريات العقاد، فجر وضحى الإسلام لأحمد أمين)، إلا أن هذا المد السلفى قد عاد للانحسار والأفول ثانية منذ نهاية الأربعينيات، واستمر ذلك بعد قيام ثورة يولية عام ١٩٥٢م وما تلاها، وربما عاد هذا الانحسار فى جانب منه إلى سطوة الدولة المصرية وهيمنة الجهاز التنفيذى المعروفة تاريخياً. ومع نهاية السبعينيات وما تلاها، عاد النهج السلفى بقوة مرة أخرى إلى الساحة المصرية ليشكل موجة أخرى فى مرحلة مغايرة.

الهوامش

(١) رضوان، أبو الفتوح: تاريخ مطبعة بولاق ولمحة فى تاريخ الطباعة فى بلدان الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٥٣، المطبعة الأميرية، ص٢٤ .

(٢) عبد الملك، أنور: نهضة مصر، القاهرة ١٩٨٣، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ص٢٠٣ . وكانت مطبعة بولاق منوطة بخدمة الجيش فى المقام الأول، ولم يكن للمطبعة الناشئة ثمة لائحة إجرائية ينتظم العمل من خلالها ولا قواعد للرقابة على المطبوعات بها، بل كان النهج السائد أنه لا يطبع كتاب إلا بأمر عال من محمد على حاملاً فى النهاية خاتم المطبعة وتاريخ طباعته. المرجع السابق، ص ٩٩ -١٠١ .

(٣) من تلك الأعمال منهاج السنة النبوية لابن تيمية فى أربعة أجزاء، والفتوحات المكية لمحى الدين بن عربى فى أربعة أجزاء، وطبعت من تراجم المشارقة وفيات الأعيان لابن خلكان، ومن تراجم المغاربة قلائد العقيان للفتح بن خاقان، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى، كما طبعت تفسير الطبرى والفخر الرازى والألوسى وصحيح البخارى وشرحه لابن حجر والقسطلانى، كما كان من بين إصداراتها ألف ليلة وليلة الذى ظهر فى طبعتين. راجع، الطناحى، محمود محمد: الكتاب المطبوع بمصر فى القرن التاسع عشر، تاريخ وتحليل، القاهرة، ١٩٩٦، دار الهلال ، ص٢٩ . رضوان ابو الفتوح: المرجع السابق، ص١٩٤-١٩٥ .

(٤) كان لوفود العديد من الصحفيين الشوام أثراً ملحوظاً خلال تلك الفترة، راجع: Hartman,Martin.The Arabic Press of Egypt .London .1899.p.3 وكان من أبرزهم، سليم وبشارة تقلا، وفارس نمر، ويعقوب صروف، وشاهين مكاريوس، وفرح أنطون، وشبلى شميل، ومعظمهم من خريجى الكلية الأمريكية ببيروت. وكان من بين الصحف التى صدرت فى تلك الفترة "الوطن"، و"مصر"، و"التجارة"، و"مرآة الشرق"، و"اللطائف". ميخائيل، رمزى: الصحافة المصرية والحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال ١٨٨٢-١٩٢٢، القاهرة، ١٩٩٦، الهيئة العامة للكتاب، ص٩-١٠ .

(٥) الأنصارى، محمد جابر، تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربى١٩٣٠-١٩٧٠، الكويت، ١٩٨٠، عالم المعرفة، ص١٤-١٥ . الجندى، أنور، تاريخ الصحافة الإسلامية، المنار، محمد رشيد رضا ١٨٩٨-١٩٣٥، دار الأنصار، د.ت، ص٦-٧ . والجدير بالذكر أن "العروة الوثقى" التى صدرت فى باريس عام ١٨٨٤ بجهود الأفغانى ومحمد عبده قد عبرت بالفعل عن الإسلام السياسى بحكم دعوتها إلى وحدة العالم الإسلامى ومقاومة الاستعمار، ثم كانت "المؤيد" التى أصدرها على يوسف عام ١٨٨٩ من أبرز الداعين إلى

فكرة الجامعة الإسلامية، وإن مالت لاحقاً، منذ عام ١٩٠٣، إلى مهادنة بريطانيا. الجندى، مرجع سابق، ص٢٠ . ميخائيل، مرجع سابق، ص٧١ .

(٦) Hartman. Op.Cit.p.19 ووفقا لبعض الاحصاءات زاد عدد الصحف والدوريات من ١٦٩ فى عام ١٨٩٩ إلى ٢٨٢ عام ١٩١٣، راجع:-Ryad.Umar.Al-Manar's Early Years, Religious Aspiration and Reception (1898-1903).Arabica.56.2009.pp.31.32. ومن أبرز صحافة الاتجاه الإسلامى لفترة الدراسة ، الهداية الإسلامية ١٩٢٨، الشبان المسلمون ١٩٢٩، نور الإسلام ١٩٣٠، الإخوان المسلمون ١٩٣٣، والصرخة ١٩٣٣، والأزهر ١٩٣٥ . راجع ، النجار ، جمال عبد الحى عمر، صحافة الاتجاه الإسلامى فى مصر فيما بين الحربين العالميتين ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ ، دار الوفاء ، ص ، ٤٥ .

(٧) عمارة ، محمد ، السلفية ، تونس ١٩٩٤ ، دار المعارف للطباعة والنشر ص- ٥ .

(8) Lauzi'ere,Henri. The construction of Salafiyya ' Reconsidering Salafism from The Perspective of Conceptual History .Middle East Stud.42.2010.-pp.369-370

(٩) عمارة، محمد ، السلفية، دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس ١٩٩٤ ص٦-٧ .

(١٠) استنادا إلى الحديث النبوى الشريف "خير أمتى قرنى، ثم اللذين يلونهم، ثم اللذين يلونهم" ومن أعلام السلفية الأئمة الأربعة وسفيان الثورى وسفيان بن عيينه والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك والبخارى ومسلم وسائر أصحاب السنن. حلمى، مصطفى، السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية، الاسكندرية، ١٩٩١، الطبعة الثانية، دار الدعوة ، ص٣-, ٥ أيضاً ، البوطى، محمد سعيد رمضان، السلفية مرحلة زمنية مباركة، لا مذهب إسلامى، الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٩٨٨، دار الفكر ، ص, ١٢

(١١) عمارة ، مرجع سابق ، ص٩-, ١٠

(١٢) البوطى ، مرجع سابق ، ص٢١٤-٢١٦ .

(13) Abou El Fadl. Khaled, The Great Theft: Wrestling Islam from the Extremists (New York: HarperCollins,2005.p.18.

محمد بشير السهسوانى، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، الطبعة الثانية، المنار، ١٣٥١هـ. والكتاب كان رداً على رسالة الشيخ زينى دحلان أحد كبار العلماء بمكة والتى عنوانها "الدرر السنية فى الرد على الوهابية". وقد أشار رشيد رضا فى المقدمة إلى "أن ما كان عليه السلف فى الصدر الأول لم يكن مذهباً ولا يصح أن يكون مذهباً فى الإسلام لأنه هو الإسلام كله". ص ٢٨ .

(١٤) الحارثى، عبد الرحمن بن سيف ، جهود الشيخ الألبانى فى الدعوة إلى الله، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ١٤٣٣ هـ ، ص١١٢ .

(١٥) Abou El fadl.Op.Cit.p.18. وأيضاً حلمى ، مصطفى ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(١٦) Lauzi'ere.Pp.373-374وكذلك، البوطى، مرجع سابق، ص٢٣٤ .. Soage, Ana Belen. Rashid Rida's Legacy. Muslim World.Jan.2008.pp.2-3. وقد اعتبر البعض أن توجه رشيد رضا عقب وفاة أستاذه محمد عبده كان أكثر محافظة وبعداً عن ثورية الأفغانى وعقلانية محمد عبده، راجع، Hourani.Albert.Arabic Thought in Liberal Age1798-1939 ,Oxford.1962 .p344.

(١٧) Lauzi'ere.p.374 ، وأضاف: صحيح أن الأفغانى وعبده كان من رواد الحركة الإصلاحية لكنهما لم يطرحا نفسهما كزعماء للحركة السلفية فى أواخر القرن التاسع عشر ولم يستخدما هذا المصطلح فى العروة الوثقى ولا غيره من أعمالهما الرئيسة، وقبيل وفاته كتب محمد عبده عن السلفيين ولم يهاجمهم أو يدعو لأتباعهم ، وإنما كان وصفاً لهم بأنهم مسلمون من أهل السنة والآخذون بعقيدة أهل السلف .

(١٨) تجدر الإشارة هنا إلى تقسيم البعض للسلفية من الناحية الزمنية إلى ثلاث أقسام هى، سلفية العصر الأول (القدماء) ثم سلفية العصر الوسيط، وأخيراً سلفية العصر الحديث، وهم يتفقون جميعا فى الإلهيات، وبينهم اختلاف فى الفقهيات، كما يتفاوت منطق البعض من سلطان النص وسلطان العقل، راجع قائمة بأسماء أعلام السلفية عبر العصور فى ، عمارة ، مرجع سابق، ص ١٨-٢١ .

(١٩) الجبرتى ، عبد الرحمن، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، ج٤، المطبعة الشرفية، ١٣٢٢ هـ ، ص ٢٢٩ .

(٢٠) وكان على عكس موقف الجبرتى موقف الشيخ خليل الرجبى الذى حمل بشدة على الدعوة السلفية وأتباعها. عزباوى، عبد الله محمد، المؤرخون والعلماء فى مصر فى القرن الثامن عشر، القاهرة، ١٩٩٧، الهيئة العامة للكتاب، ص١٩١ .

(٢١) كانت المذاهب الأربعة ممثلة فى الأزهر بنسب متفاوتة، فكان فى المقدمة الشافعية ثم المالكية ثم الحنفية، وأخيراً الحنبلية. عزباوى ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

(٢٢) حظى مصطلح "السياسة الشرعية" باستخدام كبير ضمن الخطاب الإصلاحى فابن القيم الجوزية ينقل عن ابن عقيل قوله "السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح.. وإن لم يضعه الرسول ولا نزل به وحى فإن أردت بقولك إلا ما وافق الشرع أى لم يخالف ما نطق به الشرع فصحيح وان اردت لا سياسة الا ما نطق به الشرع فغلط وتغليط للصحابة.. وهذا موضع مزلة اقدام.. فرطت فيه طائفة فعطلوا الحدود وجعلوا الشريعة قاصرة "راجع، محيى الدين، محمد، الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية، القاهرة،١٩٦١، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ص١٥-١٦ . وانظر اقتباس رفاعة الطهطاوى لنفس النص السابق فى، نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز، ١٨٧٣، ص٤٤٢-٤٤٣ . والأمر نفسه لدى خير الدين التونسى فى، أقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك، تونس، ١٢٨٤ه، ص٤٢ . ويبدو أن استخدام المقولات السلفية جنباً إلى جنب مع

المقولات الليبرالية فى الخطاب الإصلاحى لهؤلاء الرواد قد عاد فى جانب منه إلى أنهم لم يتعرفوا على الليبرالية فى مسارها التاريخى الطويل ووقفوا فقط على المرحلة الأخيرة من مراحل التطور الليبرالى، فكان هذا اضافة إلى ظروف الدعوة الإصلاحية سببا فى عدم الالتفات كثيراً إلى المفاهيم. راجع: العروى، عبد الله، مفهوم الحرية، الدار البيضاء، ١٩٨١ ، الطبعة الأولى، المركز الثقافى العربى ، ص ١٣٩-١٤١ .

(٢٣) كان صدور المنار مثار استياء السلطان العثمانى لاعتقاده بحسب المصادر الدبلوماسية الروسية والألمانية انه يتم تمويلها من الخديوى عباس حلمى الثانى، وتم التأسيس من خلال عقد شراكة تضمن سبعة عشر بنداً موقع قبيل قدوم محمد رشيد رضا إلى مصر بينه وعبد الحليم بن عبيد مراد الطرابلسى بالعزم على انشاء مجلة علمية سياسية ادبية فى مصر ، ولم يذكر اسم المنار بعد وتم ذلك فى ربيع الأول ١٣١٥ هـ -سبتمبر ١٨٩٧م ويختص رضا بالتحرير والكتابة والتصحيح والمراجعة بينما الآخر بأمور الإدارة ، راجع ، Ryad.Umar.Op.cit.pp.35-36

(٢٤) . Ibid. pp. 43-44 ، وأيضاً ، المنار ، المجلد الرابع ، الجزء العاشر ، ص- ٣٩٧ ، ١٩٠١ .

(٢٥) راجع عرضا عاما لقضايا المنار فى، الجندى، مرجع سابق ، ص ٤٤-٤٩ ، النجار ، جمال عبد الحى عمر، مرجع سابق ، ص ٤٩-٥٠ .

(٢٦) وقد أشار البعض إلى تخلى رشيد رضا عن النهج العقلانى الذى ارساه الأفغانى وعبده وصار المعبر الرسمى عن السلفية، راجع: Gauvain.Richard.Salafism in Modern Egypt: Panacea or Pest.pp.809-810

(٢٧) متولى، تامر محمد محمود، منهج الشيخ محمد رشيد رضا فى العقيدة، جدة ، ٢٠٠٤، الطبعة الأولى، دار ماجد عسيرى ، ص، ١٧٧-١٧٨ .

(٢٨) مقالته بعنوان "خلاف الأمة فى العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة " المنار ، المجلد الرابع، ج١٠ ، ١٩٠٧ ، ٢٦٥-٢٦٦ ، وأيضاً ، Soage, Ana Belén .Op.Cit.pp.6-7

(٢٩) المرجع السابق، ص٧٦-, ٧٧ وفى موضع آخر أشار رشيد رضا إلى انقسام المسلمين إلى فرق عديدة وأن "الفرقة الناجية اتباع السلف ومنها الإمام أحمد" نفسه، ص٧٩ . متولى، تامر محمد محمود، مرجع سابق، ص٨٦-٨٧ .

(٣٠) حول نشأته وتعليمه وأعماله، راجع ، الخطيب، محب الدين، حياته بقلمه، مطبوعات جمعية التمدن الإسلامى ، دمشق ، ١٩٧٩ .

(٣١) . Lauzi'ere.Op.cit .pp.377-378

(٣٢) الجندى، مرجع سابق، ص٧١ .

(٣٣) وكانت رسالة المجلة السلفية بحسب فتلان معنية بإبراز مآثر السلف ، راجع ، Lau-zi'ere.Op.Cit.p.379.

(٣٤) هو طاهر بن صالح بن أحمد الجزائرى هاجر والده إلى دمشق عام ١٢٦٣ هـ ، وكان مولعا بجمع المخطوطات وانشأ المكتبة الظاهرية وعمل مفتشا عاما بالمدرأس الابتدائية وهو احد اساتذة محب الدين الخطيب وله العديد من المؤلفات وهاجر إلى القاهرة وتوفى عام ١٩٢٠م.

(٣٥) كان من بين تلاميذ رشيد رضا فى دار الدعوة والإرشاد، يوسف ياسين، أمين الحسينى، عبدالرازق المليح ابادى الهندى، محمد بهجت البيطار، محمد حامد الفقى، محمد بسيونى عمران من جاوة، راجع، متولى، تامر محمد محمود، مرجع سابق ، ص-٩١-٩٢ .

(٣٦) الأنصارى، محمد جابر، مرجع سابق، ص٢١-٢٢, السيد، عفاف لطفى، تجربة مصر الليبرالية ١٩٢٢-١٩٣٦، القاهرة ، ١٩٨١، ص٣٤٣-٣٤٤ .

(٣٧) داود، محمد عبد العزيز، الجمعيات الإسلامية فى مصر ودورها فى نشر الدعوة الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٢، الزهراء للأعلام العربى ، ص٧٦-٧٧ .

(٣٨) المرجع السابق، ص١١١ . وقد اعتبر البعض أن الجمعية الشرعية أقل فى نزعتها السلفية من أنصار السنة، راجع Gauvain.Op.Cit.810،

(٣٩) لاحقاً فى عام ١٩٦٥ جرت محاولات لتوحيد الجمعية الشرعية وأنصار السنة الا انها انتهت بالفشل لسعى كل طرف لاحتواء الآخر . داود ، مرجع السابق، ص١٧٧ . متولى ، تامر محمد محمود ، مرجع سابق، ص٨٨ .

(٤٠) المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(41) Gauvain.Op.Cit.p.813.

(٤٢) وقد لاحظ البعض أن الرابطة بين الأزهر وأنصار السنة كانت تقوى فى فترة مشيخة بعض العلماء مثل الشيخ المراغى، وعبد المجيد سليم بينما تضعف إذا كان على رأس المشيخة من أنصار التصوف مثل الشيخ عبد الحليم محمود. راجع ، Gau-vain.Op.Cit.pp.811-812

(٤٣) الرفاعى، عبد العزيز أحمد ، عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب، الرياض ، ١٩٨٧، مطبوعات الملك فهد، ص ١٥, الشقير، عبد الرحمن بن عبد الله، طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبد العزيز، دراسة تحليلية وقائمة ببليوغرافية ، دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٢٤ه، ص٥٤ .

(٤٤) أشار رضا إلى أن "الإسلام.. قد تجدد له اليوم دولة لتجديد هدايته واعادة مجده إذا عرف سائر المسلمون كيف يؤيدونها وينصرونها ويقيدونها هى الدولة العربية السعودية التى قامت فى مهد الإسلام"، وفى موضع اخر أشار إلى الملك عبد العزيز بأنه "المؤيد بنصر الله وتوفيقه وذكر بأن هذا هو الطور الجديد المرجو للإسلام وهذه هى الفرصة السانحة لتجديد هدية واعادة مجده". انظر، الجندى، مرجع سابق ، ص ٩٠-٩١

(٤٥) متولى، تامر محمد محمود ، مرجع سابق ، ص ، ١٩٣ .
(٤٦) الرفاعى ، عبد العزيز ، مرجع سابق ، ص ١٢ .
(٤٧) المرجع السابق، ص, ١٣ وحول سيرة وأعمال الشيخ سليمان بن دحمان، راجع ، آل عبد الكريم، عبد السلام بن برجس، الضياء الشارق فى رد شبهات الماذق المارق ، الرياض ، ١٩٩٤ ، الطبعة الخامسة ، المقدمة ، وأيضاً ، الشقير، مرجع سابق، ص-٣٨-٣٩ ، ومن الكتب التى طبعت بالهند كتاب " مصباح الظلام فى الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الايمان والإسلام "لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ال الشيخ ردا على كتاب " جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة"، وأيضاً كتاب "الاسنة الحداد فى رد شبهات علوى الحداد " لسليمان بن سحمان للرد على كتاب " مصباح الانام وجلاء الظلام"، نفسه، ص ٤٠-٤١ .
(٤٨) الشقير، مرجع سابق، ص٢٠، وحول الطباعة فى الهند ودور التيار السلفى بها-العسكر، عبد الله بن حمد بن محمد، الرسالة الغزنوية فى أسماء بعض الكتب العربية والرسائل النجدية التى طبعت فى البلاد الهندية إلى عام ١٣١٤هـ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض ٢٠٠٩، ص٢٤-٢٥ .
(٤٩) وكان للتطورات التى شهدتها البلاد بعد الحرب دورا هاما خاصة تحسن ورادات المملكة بعد انضمام الحجاز اليها ، المرجع السابق، ص٥٤ .
(٥٠) كان رشيد رضا قد التقى الشريف حسين فى يونيو عام ١٩١٦م فى موسم الحج وأيد ثورته معتبرا انها خدمة كبيرة للإسلام خشية من سقوط الدولة العثمانية ووقوع الحرميين الشريفيين فى يد الأجانب، وقد هنأ الشريف باعتباره ملكا على الحجاز، وبعد انتهاء الحرب سحب رضا تأييده السابق احتجاجا على الترتيبات السرية بين الانجليز والإشراف، راجع:Haddad.Mahmud Osaman.Rashid Rida and The Theory of The Caliphate; Medieval Themes and Modern Concerns.Unpublished Diss.Columbia Uni.1989.pp.190-192.
(٥١) .Ibid,pp.221-222 ، أيضاً ، النجار ، صحافة الاتجاه الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .
(٥٢) الشقير ، مرجع سابق ، ص ٥٦-٥٧ .
(٥٣) لم يحظ هذا الاجراء بالرضا من جانب علماء نجد وجسد ذلك الاحتجاج رسالة الشيخ محمد بن مانع إلى سليمان ابن سحمان منتقدا فيها تصرف رشيد رضا فى الحذف والاضافة ، المرجع السابق ، ص ٥٨
(54) Henri Lauzière,The Evolution Of The Salafiyya In The Twentieth Century Through The Life And Thought Of Taqi Al-Din Al-Hilali. Diss.Georgetown University 2008.Pp126-127

(٥٥) محمد بشير السهسوانى ، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، مرجع سابق ، ص، ٢٨ .

(٥٦) متولى، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

(٥٧) الرفاعى، عبد العزيز أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٥-١٦ .

(٥٨) أشار رشيد رضا إلى بعض منشورات الشريف حسين وعزمه على حد قوله " بمحو بدعة الوهابية خدمة للدين " ولعل هذا كان وراء انتشار رسالة بن سحمان فقد " كثر طلاب الهدية السنية والتحفة الوهابية من القاهرة ومن جميع ارجاء القطر المصرى ومما جاوره حتى صار جل عمل مكتبة المنار ٠٠٠ توزيع هذه الرسالة " ، راجع ، الوهابيون والحجاز ، القاهرة ١٣٤٤ هـ ، مكتبة المنار ، ص ١٩ ، ٣٠ .

(٥٩) الشقير ، مرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٦٠) المرجع السابق ، ص ٦٦ -, ٦٧ وأضاف استناداً إلى تقدير بعض الصحف إلى أن عدد النسخ المطبوعة برعاية الملك عبد العزيز قد وصل إلى أكثر من مائة ألف للتوزيع مجاناً، وكان يتم شحن الكتب إلى مينائى العقير على الخليج العربى وجده على البحر الأحمر ، ص, ٢١

(٦١) نفسه ، ص ٦٩ .

(٦٢) نفسه ، ص-٧٨-٨٠ .

(٦٣) الرفاعى ، عبد العزيز أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٥

(64) Ghazal N.Amal. The Other Frontiers of Arab Nationalism; Ibadis, Berbers, And The Arabist - Salafi Press In The Inter War Period. Int. J. Middle East. Stud. 42.2010. pp.109-110.

(65) Ibid. pp.111-112 .

(٦٦) .. Ibid.116 والجدير بالذكر أن ماسينيون المستشرق المعروف قد وصف أنصار التيار السلفى فى المغرب العربى بأنه ينزع نزعة نصف وهابية وهو فرع للحركة التى تقودها المنار فى القاهرة وعلى صلة بها ويترسم خطاها وخير معبر لها صحيفة الشهاب التى تصدر فى قسطنطينية لعبد الحميد بن باديس، راجع، جب .هـ أ .ر. ، وآخرون، وجهة الإسلام، نظرة فى الحركات الحديثة فى العالم الإسلامى، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة ١٩٣٤، ص٦٠-٦١ .

(٦٧) الجندى ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ، ٥٢ .

(68) Gauvain.Op.Cit.p.812

(٦٩) داود، محمد عبد العزيز، مرجع سابق، ص ١٧٨-١٧٩ ، الرفاعى ، عبد العزيز أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

(٧٠) الشقير ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٧١) المرجع السابق ، ص ٩٥
(٧٢) نفسه ، ص ٩٩-١٠٠ .
(٧٣) القحطانى ، دلال ناصر راشد ، الشيخ عبد الرحمن الوكيل وجهوده فى تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، ١٤٣١ هـ ، ص ١٧٧ .
(٧٤) حول نشأة ودور تلك المطبعة ، راجع ، الطناحى ، محمد محمود ، مرجع سابق ، ص ١١٥-١١٦ .
(٧٥) الشقير ، مرجع سابق ، ص ٩٣-٩٥ .
(٧٦) الرفاعى ، مرجع سابق ، ص ١٨ .
(٧٧) الشقير ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .
(٧٨) يذكر فى هذا الصدد الاستعانة بمطبعة كردستان العلمية لصاحبها فرج الله الكردى ، وكان من اركان البهائية فى مصر ، وقد التحق بالأزهر لفترة ثم طرد منه والف كتابا للترويج للبهائية بعنوان " بشرى العالم بترك المحاربات واتفاق الامم " ، راجع ، الطناحى ، محمد محمود ، مرجع سابق ، ص ١١٥-١١٦ .
(٧٩) متولى، مرجع سابق ، ص ، ١٩٥-١٩٦ .
(٨٠) المنار، مجلد ٤، ج ١، ١٩٠١ ، ص ، ١٦ .
(٨١) المنار، مجلد ٤، ج٧ ، ١٩٠١ ، ص ٢٧٢ .
(٨٢) المنار، مجلد ٤، ج ١٦، ١٩٠١، ص٥٤٣ .
(٨٣) الطناحى، محمد محمود ، مرجع سابق، ص٨٦ .
(٨٤) المرجع السابق، ص٩٢ ، وكان لمطبعة بولاق دورا رئيسا فى نشر الأعمال التراثية ولم يكن ذلك بنفقة الحكومة فحسب، بل تم طباعة العديد من الأعمال برعاية شخصيات عامة أو محبى العلم، وحول قائمة بأبرز ما أخرجته مطبعة بولاق. راجع ، ص ٧١-٧٤ .
(٨٥) الشقير ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .
(٨٦) من تلك الانتقادات ما ذكره صاحب المطبعة المنيرية انه رغم الامكانات الجيدة لمطبعة المنار ومكتبتها " فان من يدير حركتهما وإدارة شئونهما غير صاحبهما ويعتروهما ناس كثيرون غير أهل لذلك لا علما ولا عملا ولا صناعة.. ولاسيما إدارة التصحيح، فلذلك وقع فى كتاب المغنى وغيره اغلاط كثيرة جداً". المرجع السابق ، ص ١٠٨-١٠٩ .
(٨٧) المرجع نفسه ، ص١١٢ .
(٨٨) نفسه ، ص٤٦ .
(٨٩) نفسه ، ص١١٧ .
(٩٠) بن سحمان ، سليمان، تبرئة الشيخين الإمأمين من تزوير أهل الكذب والبين، الرياض ، ١٣٧٧هـ، الطبعة الثانية ، مطابع الرياض، ص٣-٥ .

(٩١) بن سحمان، سليمان، الضياء الشارق فى رد شبهات الماذق المارق "تحقيق ، عبدالسلام بن برجس بن ناصر ، الرياض ١٤١٤هـ ، الطبعة الخامسة ، وكالة الطباعة والترجمة ، ص٣ .

(٩٢) متولى، مرجع سابق ، ص١٧٠-١٧١ .

(٩٣) الجندى، أنور، مرجع سابق، ص١٤٤-١٤٩ . وراجع نماذج من انتقاد جريدة السياسة وأعمال سلامة موسى، فى الفتح عدد ٧٤ ، ٨ ديسمبر ١٩٢٧، وأيضاً العدد ٧٦ فى ١٧ ديسمبر ١٩٢٧م.

(٩٤) المنار، مجلد ١٠ ، ج٥ ، ص ، ٣٧٥-٣٧٦ .

(٩٥) متولى، مرجع سابق ، ص ، ١١٥-١١٦ .

(٩٦) الجندى، ج٢ ، ص١٠-١٣ ، وقد هاجمت الفتح بشدة الهلال والسياسة والاهرام ، راجع ، النجار، صحافة الاتجاه الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٦٥-٦٧ .

(٩٧) المرجع السابق ، ص ، ١٦ .

(٩٨) المرجع نفسه ، ص ، ١٧٢-١٧٣ .

(٩٩) جارت المنار الصحف التابعة لبريطانيا فى تغطيتها لحادث دنشواى عام ١٩٠٦، فلم تكتب عنه سوى القليل، واعتبرته مجرد سوء تفاهم بين الانجليز والمصريين.Haddad.Mahmud

(١٠٠).Osaman.Op.Cit.pp.133-134 المنار ، المجلد العاشر ، ج٦ ،٤٥٩-٤٦٠ .

(١٠١) القحطانى، دلال ناصر، مرجع سابق، ص٢٧ . وتبنى نفس الرؤية حسن البنا فكتب لاحقا "إننا مع دعاة الوطنية بل مع غلاتهم فى كل معانيها الصالحة.. وان تلك الدعوى الطويلة العريضة لم تخرج عن كونها جزءا من الإسلام، أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة ، وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية.." . الإخوان المسلمون ، السنة الثالثة ، العدد الرابع ، ٧ مايو ١٩٣٥ .

(١٠٢) المرجع سابق ، ص١٩٥ .

(١٠٣) المنار ، المجلد الرابع ، ج٩ ، ص٣٥١-٣٥٢ .

(104) Henri Lauzière,The Evolution Of The Salafiyya .Op.Cit.pp.114-116

(١٠٥) الهدى النبوى ، العدد ١٢، ١٣٦٧ه، ص٢٣ .